استشف صوى الصوت ليلا، واتوسم الوجوه بالنهار الخلي
الى ان لمحت ابا زيد وابنه يتحادثان، وعليهما بردان رثان
فعلمت انهما نجيا ليلتي، وصاحبا روايتي، فقصدتهما
قصد كلف بزمانتهما، رثا لرثاثتهما، واخبرتهما التحول
الى رحلي، والتحكم في كثري وقلي، وهتفت لاسير بين السيارة
بفضلهما، واهززت اغوار المبرة لهما، حتى غمرا بالنحلان
واقتربا من الخلان، وكنا بمعرس تتبين منه بنيان القرى ونتنور
منه نيران القرى، فلما راى ابو زيد امتلاء كيسه، وانجلاء
بؤسه، قال لي ان بدني قد اتسخ، ودرني قد رسخ، افتاذن
لي في قصد قرية لاستحم، واقضي هذا المهم، فقلت اذا
شئت فالسرعة السرعة، والرجعة الرجعة، فقال
ستجدني مطلع عليك، اسرع من ارتداد هذه اليد
ثم استن استنان الجواد في المضمار، وقال لابنه بدار بدار
ولم نخل انه غر، وطلب المفر، فلبثنا نرقبه رقبة اهلة
الاعياد، ونستطلعه بالطلائع والرواد، الى ان هرم النهار
وكاد جرف اليوم ينهار، ولما طال امد الانتظار، ولاحت

الشمس في ازارها، قلت لاصحابي قد تناهيتم في المهلة، وتماديتم
في الرحلة، الى ان اضعتم الزمان، وبان ان الرجل مان، فتاهبوا
للظعن، ولا تلووا على خضراء الدمن، ونهضت لاخرج راحلتي
والحمل لرحلتي، فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب بخطه:

يا من غدا لي ساعدا، ومساعدا دون البشر
لا تحسبن اني نايت عن ملال او اشر
لكنني مذ لم ازل ممن اذا طعم انتشر

قال فاقرات الجماعة القتب، ليعذره من كان عتب، فاعجبوا
بخرافته، وتعوذوا بالله من شر آفته، ثم انا ظعنا
ولم ندر من اعتاض منا

المقامة الخامسة

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها
ذو لونين، وقمرها كتعويذ من لجين، مع رفقة غذوا بلبان
البيان، وسحبوا على سحبان ذيل النسيان، ما فيهم الا من يحفظ
عنه، ولا يتحفظ منه، ويميل الرفيق اليه، ولا يميل عنه
فاستهوانا السمر الى ان غرب القمر، وغلب السهر، فلما